حَيَاةُ النَّبِيِّ ﷺ

الجَهْرُ بالدَّعْوَةِ

كتبها
سلامة محمد سلامة

رسوم
عبد المرضى عبيد

جميع الحقوق محفوظة لشركة سفير

٢٠٠٣/رقم الإيداع ٢٠٠٦٦

الترقيم الدولي I.S.B.N.977-361-196-5

جرافيك وفصل ألوان : عاصم سيد أحمد

الجَهْرُ بالدَّعْوَةِ

ظَـلَّ النَّبِـيُّ ﷺ يَدْعُو إِلَى الإِسْلامِ سِـرًّا ثَلاثَ سنَوَاتٍ، وَكَانَ عَـدَدُ المُؤْمِنِـينَ بِدَعْوَتِهِ يَزْدَادُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ، وَفِى يَومٍ مِنَ الأَيَّامِ نَزَلَ «جِبْرِيـلُ» - عَلَيْـهِ السَّـلامُ- عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِآيَـةٍ عَظِيمَةٍ مِنْ رَبِّهِ يَأْمُرُه فِيهَا بِالجَهْرِ بالدَّعْوَةِ إِلَـى دِينِ الإِسْلامِ، قَالَ تَعَالَى :

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾(الشعراء: 214).

أَطَاعَ النَّبِىُّ ﷺ أَمْرَ رَبِّهِ ، وَصَعِدَ عَلَى جَبَلِ الصَّفَا القَرِيبِ مِنَ الكَعْبَةِ المُشَرَّفَةِ ، وَأَخَذَ يُنَادِى أَهْلَ «مَكَّةَ» بِأَعْلَى صَوْتِهِ، فَلَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ قَالَ لَهُمْ : «أَرَأَيْتُم لَوْ أَخْبَرتُكم أَنَّ خَيْلاً وَرَاءَ هَذَا الجَبَلِ تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُم. أَكُنْتُم مُصَدِّقِىَّ»؟!

فَقَالُوا : نَعَمْ .. مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا قَطُّ.

فَأَخْبَرَهُم النَّبِىُّ ﷺ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْهِم، وَدَعَاهم إِلَى عِبَادَةِ اللَّـهِ الواحدِ، وَتَرْكِ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ، فَقَاطَعَهُ عَمُّه «أَبو لَهَبٍ» وَسَبَّه قَائِلاً : تَبًّا لَكَ سَائِرَ اليومِ .. أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟!

وَفْدُ قُرَيش إلى أبى طَالِب

اسْتَمَـرَّ النَّبِـىُّ ﷺ فِى دَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى عِبَـادَةِ اللّهِ الوَاحِدِ، وَتَـرْكِ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ الَّتِى لا تَنْفَعُ وَلا تَضُرُّ، فازْدَادَ عَدَدُ المُؤْمنينَ بِالنَّبِـىِّ ﷺ فَغَضِبَـتْ «قُرَيْشٌ» مِنْ ذَلِـكَ غَضَبًا شَدِيدًا، وَأَرْسَلَتْ وَفْدًا مِنْ أَشْرَافِ رِجَالِهَا إِلَى «أبى طَالِبٍ» عَمِّ النَّبِىّ ﷺ، وَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَمْنَعَ ابْنَ أَخِيهِ مِنْ سَبِّ آلِهَتِهِم وإلا تَعَرَّضَ لإيذَائِهِم.

أَرْسَلَ «أَبُو طَالِب» إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالَهُ وَفْدُ «قُرَيْش»، فَظَنَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ عَمَّهُ يُرِيدُ أَن يَتَخَلَّى عَنْهُ فَقَالَ لَهُ: «يَا عَمِّ! وَاللَّهِ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي وَالقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ أَوْ أَهْلَكَ دُونَهُ مَا تَرَكْتُهُ»، ثُمَّ بَكَى النَّبِيُّ ﷺ وَخَرَجَ مَهْمُومًا حَزِينًا، فَشَعَرَ «أَبُو طَالِب» أَنَّهُ أَحْزَنَ ابْنَ أَخِيهِ فَنَادَاهُ وَقَالَ لَهُ: «اذْهَبْ يَا ابْنَ أَخِي فَقُلْ مَا أَحْبَبْتَ فَوَاللَّهِ لا أُسْلِمُكَ لِشَيءٍ تَكْرَهُهُ أَبَدًا». وَاسْتَمَرَّ النَّبِيُّ فِي طَرِيقِهِ يَدْعُو إِلَى دِينِ اللَّهِ.

مُحَارَبَةُ الدَّعْوَةِ

تَعَاهَدَ كُفَّارُ «قُرَيْشٍ» جَمِيعُهم عَلَى مُحَارَبَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَدَعْوَتِهِ، فَكَانُوا يَسْخَرونَ مِنْهُ وَيَسْتَهْزِءُونَ بِهِ، وَيَقُولُونَ عَنْهُ إِنَّهُ مَجْنُونٌ وإِنَّهُ سَاحِرٌ، وَإِنَّهُ كَذَّابٌ، وإِنَّهُ كَاهِنٌ يَدَّعِى مَعْرِفَةَ الغَيْبِ، وَكَانَ «أَبُولَهَبٍ» عَمُّ النَّبِيِّ يُحَذِّرُ النَّاسَ مِنْ مُقَابَلَتِهِ أَوِ الاسْتِمَاعِ إِلَيْهِ، لَكِنَّ كُلَّ ذَلِكَ لَمْ يُضْعِفْ مِنْ عَزْمِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى مُوَاصَلَةِ دَعْوَتِهِ، فاشْتَدَّ الكُفَّارُ فِى إِيذَائِهِ ﷺ فَكَانُوا يَضَعُونَ الأَشْوَاكَ فِى طَرِيقِهِ، وَيُلْقُونَ عَلَيْهِ القَاذُورَاتِ وَهُوَ يُصَلِّى، وَيَشْتُمُونَه بِأَقْبَحِ الشَّتَائِمِ.

وَلَمْ يَسْلَمْ أَحَدٌ مِنَ الذينَ آمَنُوا بِالنَّبِيِّ ﷺ مِنَ الإيذاءِ أَوِ التَّعْذيبِ، فَقَدِ انْقَضَّتْ كُلُّ قَبيلَةٍ عَلَى مَنْ فيهَا مِنَ المُسْلِمينَ، وَرَاحَتْ تُعَذِّبُهم بِقَسْوَةٍ، وَتَكْوِيهِمْ بِالنَّارِ، وَتَضْرِبُهم بِالسِّيَاطِ حَتَّى يَرُدُّوهم عَنْ دِينِهم؛ فَكَانَ «أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ» يَأْخُذُ عَبْدَهُ «بِلالَ بْنَ رَبَاحٍ» إِلَى الصَّحْرَاءِ المُحْرِقَةِ فِى وَقْتِ الظَّهِيرَةِ، وَيُلْقِيه عَلَى الرِّمَالِ المُلْتَهِبَةِ، وَيَضَعُ عَلَى صَدْرِه صَخْرَةً كَبِيرَةً، وَيَتْرُكُهُ هَكذا سَاعَاتٍ طَوِيلَةً، وَكَانَ «بِلالٌ»

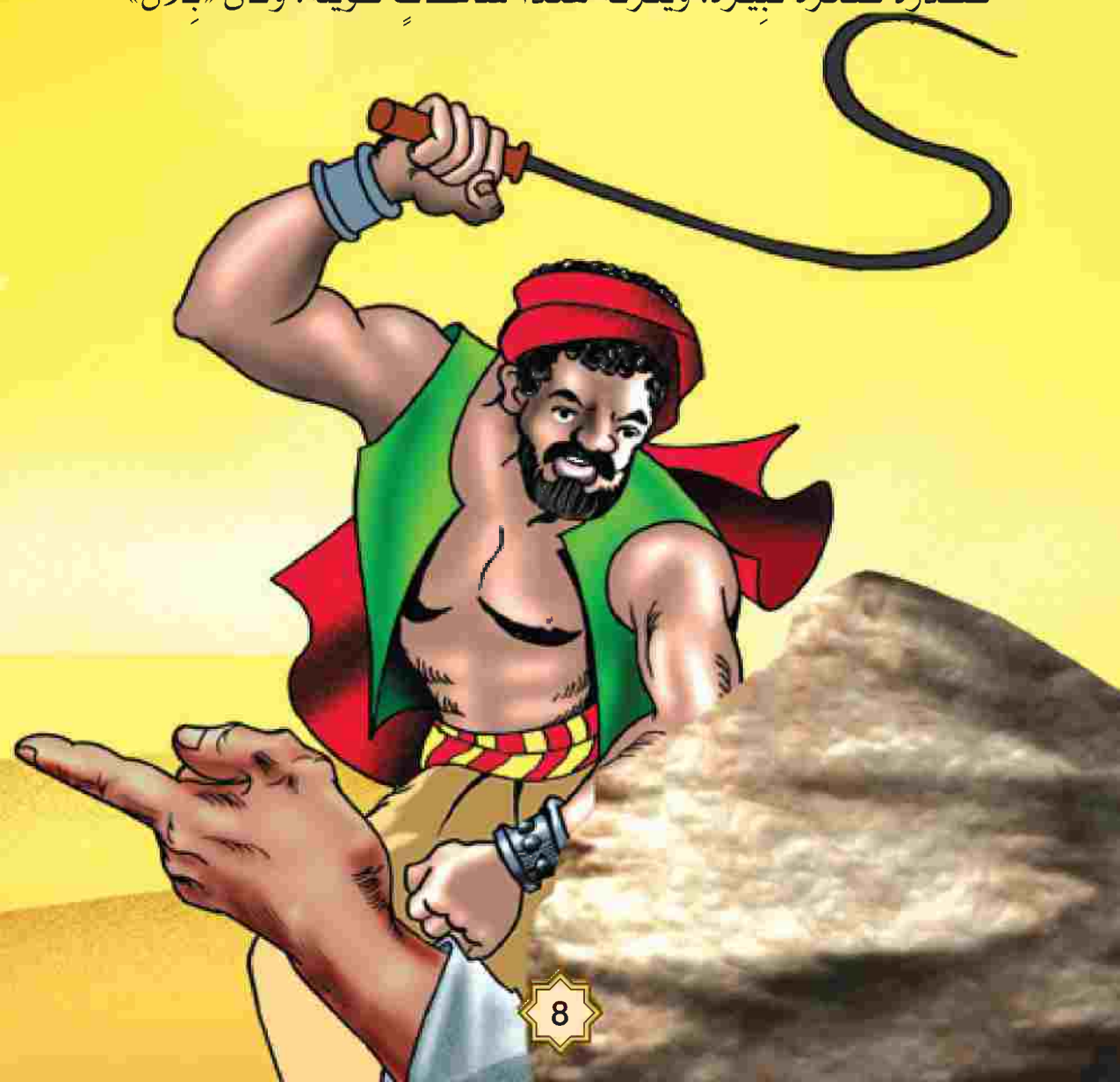

يَتَحَمَّلُ كُلَّ هَذَا العَذَابِ، وَيَقُولُ فِى صَبْرٍ وَثَبَاتٍ: أَحَدٌ .. أَحَدٌ، وَظَلَّ «بِلالٌ» صَابِرًا حَتَّى اشْتَرَاهُ «أَبُو بَكْرٍ» - رَضِىَ اللَّهُ عَنْهما - وَأَعْتَقَهُ.

وَعِنْدَمَا عَلِمَ الكُفَّارُ بِإِسْلام «عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ» وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ قَامُوا بِتَعْذِيبِهِم عَذَابًا شَدِيدًا، فَكَانُوا يَأْخُذُونَهم إِلَى الصَّحْراءِ إِذَا اشْتَدَّت الشَّمْسُ، وَيُلْقُونَ عَلَى أَجْسَادِهِمُ الحَصَى المُلْتَهِبَ فَتَتَسلَّخُ جُلُودُهُم، وَعِنْدَمَا رَآهُمُ النَّبِىُّ ﷺ وَهُمْ يُعَذَّبُونَ تَأَثَّرَ لذلك وَبَشَّرهُمَ قَائلاً لَهم: «صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكم الجَنَّةُ»، وَلَمْ يَتَحملْ «يَاسِرٌ» قَسْوَةَ التَّعْذِيبِ فَمَاتَ شَهِيدًا، وَطَعَنَ «أَبُو جَهْلٍ»، عَلَيْهِ لَعْنةُ اللَّهِ، «سُمَيَّةَ» وَالِدَةَ «عَمَّارٍ» بِحَرْبَةٍ فَمَاتَتْ هِىَ الأُخْرَى وَكَانَتْ أَوَّلَ شَهِيدَةٍ فِى الإِسْلامِ.

الهِجْرَةُ الأولَى إلى الحَبَشَةِ

اشْتَدَّ إيذاءُ المُشْرِكِينَ لِلْمُسْلِمِينَ، فَأَشَارَ عَلَيْهِم النَّبِىُّ ﷺ بِالهِجْرَةِ إلَى «الحَبَشَةِ» قَائِلاً:

«لَوْ خَرَجْتُمْ إلَى أَرْضِ الحَبَشَةِ، فَإنَّ بِهَا مَلِكًا لا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ».

فَهَاجَرَ اثْنَا عَشَرَ رَجُلاً وَأَرْبَعُ نِسْوَةٍ، وَكَانَ فِى مُقَدِّمَتِهم «عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ»، وَزَوْجَتُهُ السَّيِّدَةُ «رُقَيَّةُ» بِنْتُ رَسُولِ اللّهِ ﷺ. وَكَانَ ذَلِكَ فِى السَّنَةِ الخَامِسَةِ مِنَ البَعْثَةِ النَّبَوِيَّةِ.

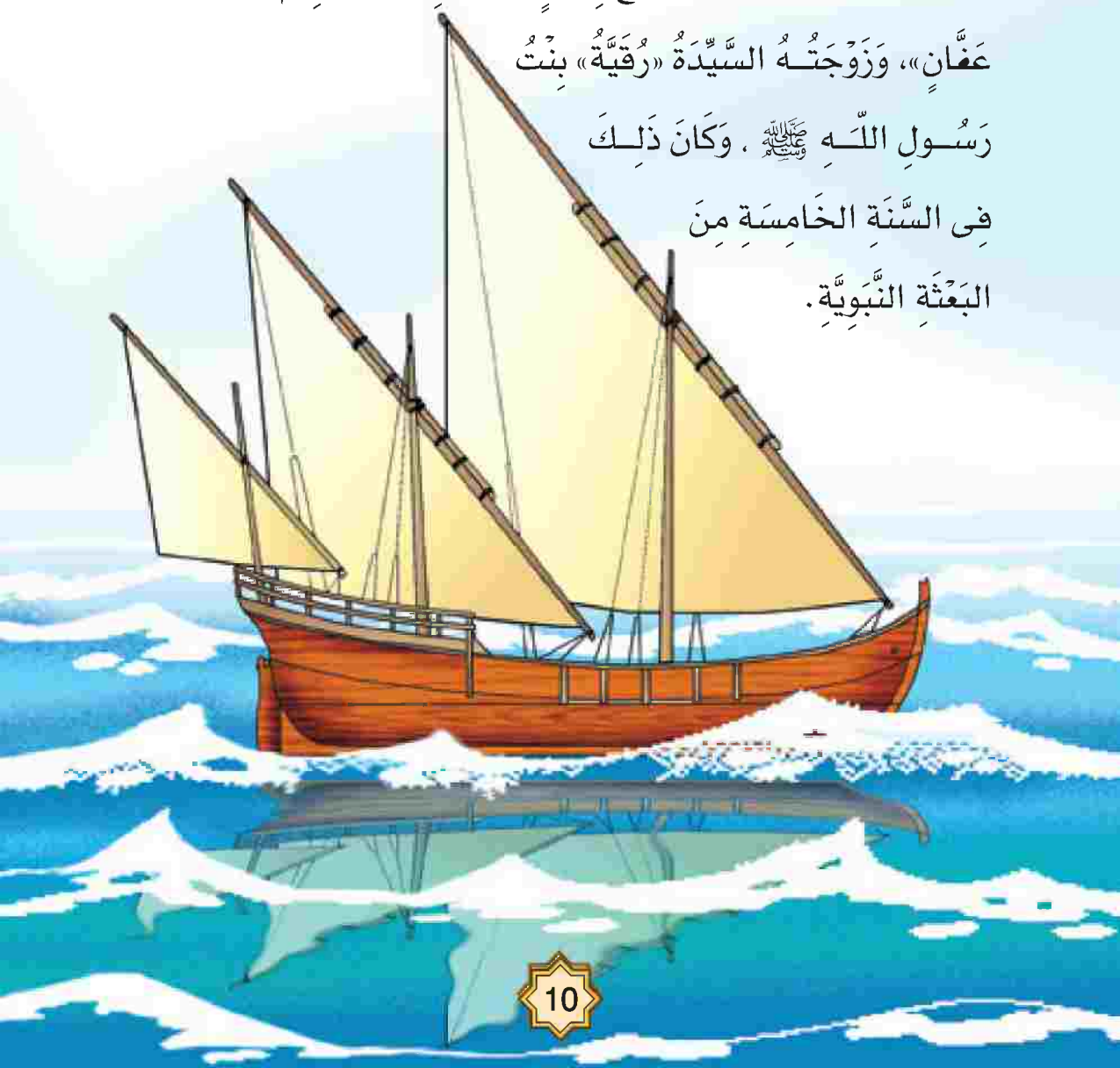

الهِجْرَةُ الثَّانِيَةُ إلى الحَبَشَةِ

وَلَمَّا وَصَلَ المُسْلِمُونَ إلَى أَرْضِ «الحَبَشَةِ» أَحسَنَ «النَّجَاشِيُّ» اسْتِقْبَالَهُم، وَعَاشُوا فِى جِوَارِهِ فِى أَمْنٍ وَسَلامَةٍ وَاطْمِئْنَانٍ، وَبَعْدَ عِدَّةِ أَشْهُرٍ سَافَرَ فَوْجٌ آخَرُ مِنَ المُسْلِمِينَ إلَى الحَبَشَةِ بَلَغَ عَدَدُهُمْ ثَلاثَةً وَثَمَانِينَ رَجُلاً، وَثمانِىَ عَشْرَةَ امْرَأَةً، فَوَجَدُوا الخَيْرَ والأَمَانَ، وَعَبَدُوا اللَّه فِى هُدُوءٍ وَسَلامٍ.

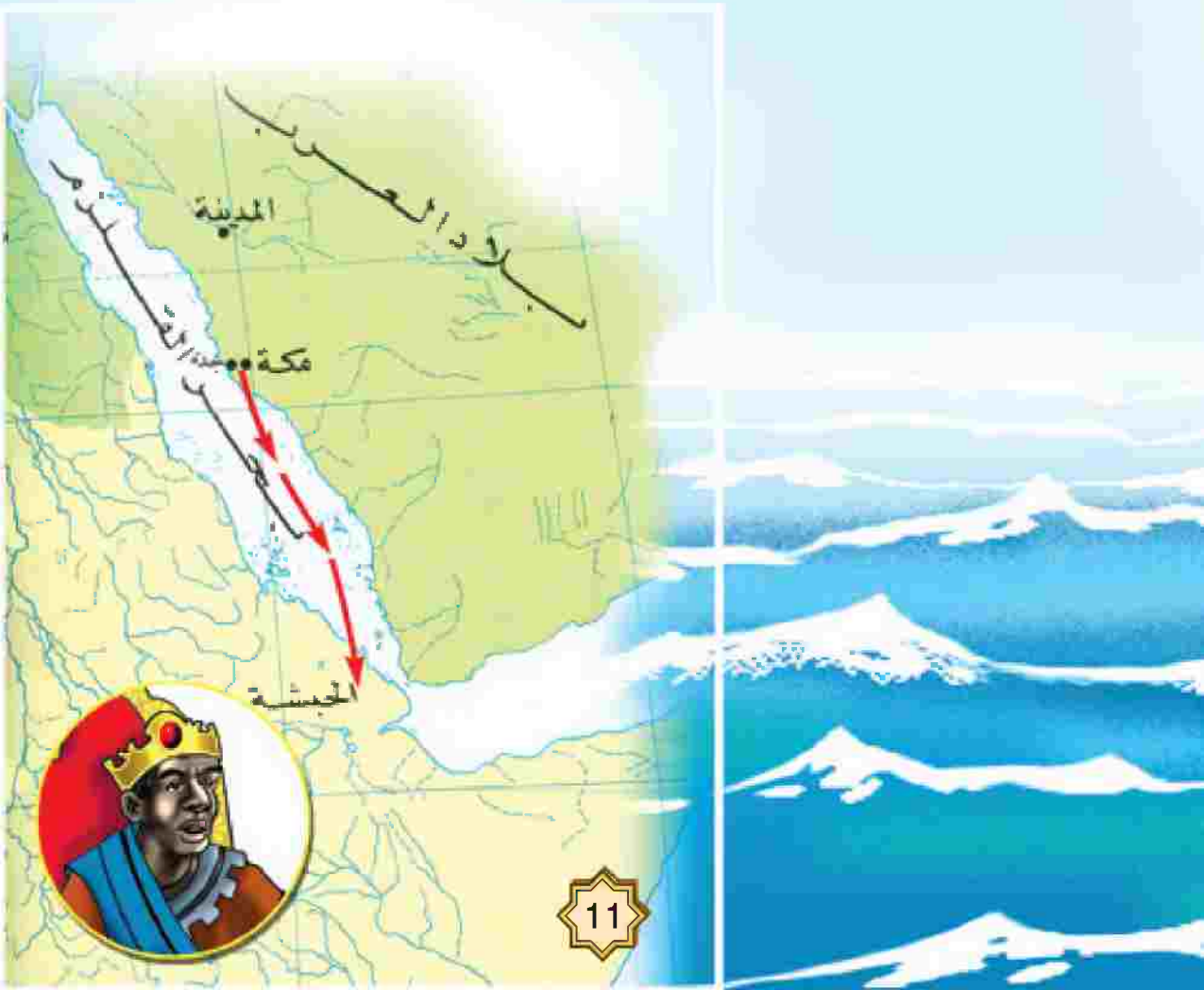

لَـمْ تَتْرُكْ «قُرَيْشٌ» المُسْلِمِينَ الذِيـنَ هَاجَرُوا إِلَـى «الحَبَشَةِ» يَنْعَمُـونَ بِالأَمْنِ هُنَـاكَ فَأَرْسَلَتِ اثْنَيْنِ مِنْ أَذْكَى رِجَالِهَا هُمَا «عَمْرُو بْـنُ العَاصِ»، و«عَبْدُ اللّٰهِ بْنُ أَبِى رَبِيعَـةَ»، وَمَعَهُمَا هَدَايَا ثَمِينَةٌ إِلَى مَلِكِ «الحَبَشَةِ» لإِقْنَاعِهِ بِرَدِّ المُسْلِمِينَ إِلَى مَكَّةَ، لكنَّ النَّجَاشِىَّ رَفَضَ طَلَبَهُمَـا، وَاسْتَدْعَـى المُسْلِمِينَ لِيَسْأَلَهُم عَنْ دِينِهِـم، فَحَدَّثَهُ «جَعْفَرُ ابْـنُ أَبِـى طَالِـبٍ»، وَأَوْضَحَ لَهُ عَظَمَـةَ هَذَا الدينِ وَسَمَاحَتَـهُ، ثُـمَّ قَرَأَ عَلَيْهِ أَوَّلَ سُورَةِ «مَرْيَمَ»، فَبَكَى «النَّجَاشِىُّ» وَقَالَ «لِعَمْرو ابْنِ العَاصِ»، وَصَاحِبِهِ:

«انْطَلِقَا فَلا وَاللَّهِ لا أُسْلِمُهُم إِلَيْكُما أَبَدًا» فَعَادَ وَفْدُ «قُرَيْشٍ» خَائِبًا ذَلِيلاً.

إِسْلامُ حَمْزَةَ

مَرَّتْ ثَلاثُ سَنَوَاتٍ عَلَى جَهْرِ النَّبِيِّ بِالدَّعْوَةِ، وَلَمْ يَتَوَقَّفْ خِلالَهَا إِيذاءُ المُشْرِكِينَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، وَذَاتَ يَوْمٍ مَرَّ عَدُوُّ اللَّهِ «أَبُو جَهْلٍ» بِالنَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ الصَّفَا فَآذَاه وَشَتَمَهُ وَضَرَبَه بِحَجَرٍ حَتَّى سَالَ الدَّمُ مِنْ رَأْسِهِ ﷺ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ «حَمْزَةُ بْنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ» عَمَّ النَّبِيِّ فَغَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا، واتَّجَهَ إِلَى الكَعْبَةِ حَيثُ كَانَ يَجْلِسُ «أَبُو جَهْلٍ» يَفْتَخِرُ بَيْنَ قَوْمِهِ بِمَا صَنَعَ بِمُحَمَّدٍ فَقَالَ لَهُ «حَمْزَةُ» فِي غَضَبٍ:

«أَتَشْتُمُ ابْنَ أَخِي وَأَنَا عَلَى دِينِهِ» وَضَرَبَهُ بِقَوْسِهِ ضَرْبَةً شَجَّتْ رَأْسَهُ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، وَأَعْلَنَ إِسْلامَه فَفَرِحَ المُسْلِمونَ بِهِ فَرَحًا عَظِيمًا.

إِسْلَامُ عُمَرَ

خَـرَجَ «عُمَـرُ بْنُ الخَطَّابِ» بَعْدَ إِسْـلَام «حَمْزَةَ» بِثَلَاثَةِ أَيَّـام وَفِى يَدِهِ سَيْفُهُ لِيَقْتُلَ النَّبِىَّ ﷺ، فَلَقِيَهُ رَجُلٌ فِى الطَّرِيقِ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّ أُخْتَهُ «فَاطِمَةَ» وَزَوْجَهـا قَـدْ أَسْلَمَا، فَثَار «عُمَـرُ»، وَتَوَجَّه إِلَى بَيْتِ أُخْتِـه، وَعِنْدَمَا لَقِيَهَا لَطَمَهَا عَلَى وَجْهِهَا فَسَالَ الدَّمُ مِنْهَا، لَكِنَّهَا صَبَرَتْ وَقَالَتْ لَهُ فِى شَجَاعَةٍ:

أَوْلَى لَكَ أَنْ تَتَّبِعَ الحَقَّ يَا عُمَرُ، فَتَأَثَّرَ «عُمَرُ» مِنْ قُوَّةِ إِيمَانِهَا وَطَلَبَ أَنْ يَقْرَأَ مَا مَعَهَا مِنَ القُرآنِ، فَلَمَّا قَرَأَهُ انْشَرَحَ صَدْرُه، وَقَالَ : مَا أَحْسَنَ هَـذَا الـكَلَامَ وَأَكْرَمَهُ! وَخَـرَجَ مُسْرِعًا إِلَى النَّبِـىِّ ﷺ وَأَعْلَنَ إِسْلَامَهُ، فَكَبَّرَ النَّبِىُّ ﷺ وَكَبَّرَ المُسْلِمونَ مَعَهُ.

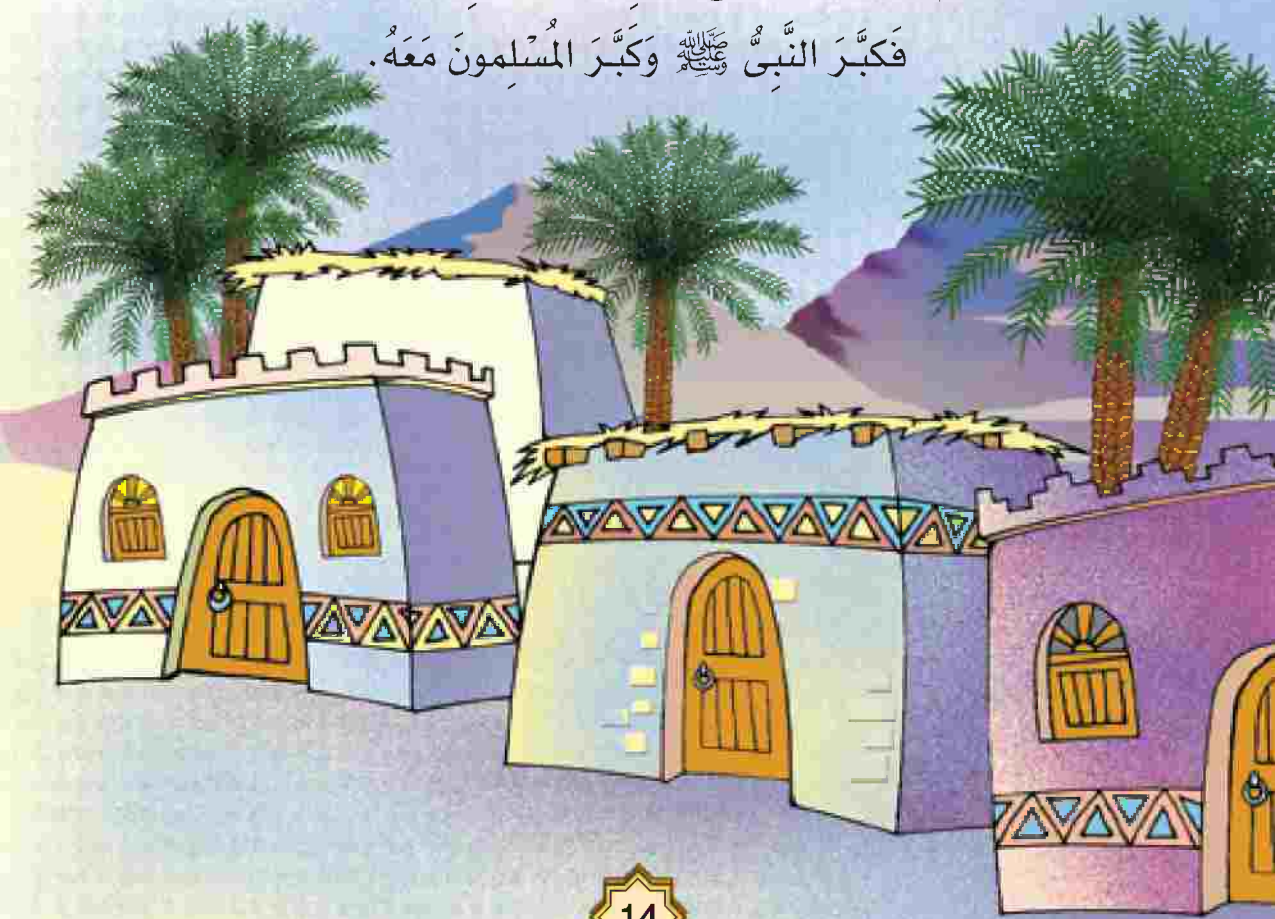

المُقَاطَعَةُ الظَّالِمَةُ

فَشِلَتْ سِيَاسَــةُ الإيذَاءِ وَالتَّعْذِيبِ الَّتِى اتَّبَعَتْهَا «قُرَيشٌ» للقَضَاءِ عَلَى دَعْوَةِ النَّبِىِّ ﷺ، فَلَجَأَتْ إِلَى مُقَاطَعَةِ «بَنِى هَاشِمٍ»، «وَبَنِى عَبْدِ المُطَّلِبِ»، فَلا يَبِيعُونَ لَهُمْ شَيْئًا وَلا يَشْتَرُونَ مِنْهُم، وَلا يَتَزَوَّجُونَ مِنْهُم وَلا يُزَوِّجُونَهم حَتَّى يُسَلِّمُوا إِلَيْهِم النَّبِىَّ ﷺ لِيَقْتُلُوه، وَكَتَبُوا بِذَلِكَ صَحِيفَةً وَعَلَّقُوهَا فِى جَوْفِ الكَعْبَةِ.

ظَلَّ «بَنُو هَاشِمٍ» «وَبَنُو عَبْدِ المُطَّلِبِ» مُحَاصَرِينَ دَاخِلَ شِعْبِ «أَبِي طَالِبٍ» مَا يَقْرُبُ مِنْ ثَلاثِ سَنَواتٍ، عَانُوا خِلالَهَا مُعَانَاةً شَدِيدَةً حَتَّى إِنَّهُم أَكَلُوا أَوْرَاقَ الشَّجَرِ وَجُلُودَ الحَيَوَانَاتِ مِنْ شِدَّةِ الجُوعِ، وَلَمَّا وَجَدَ بَعْضُ أَشْرَافِ «مَكَّةَ» مَا أَلَمَّ بِأَهْلِهِم مِنَ البَلاءِ أَشْفَقُوا عَلَيْهِم، وَقَرَّرُوا إِنْهَاءَ تِلْكَ المُقَاطَعَةِ الظَّالِمَةِ فَنَجَحُوا فِي ذَلِكَ، وَعَادَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ مَعَهُ إِلَى بُيُوتِهِم سَالِمِينَ.